

إثبات صفتي السمع والبصر لله عزوجل في ضوء الكتاب والسنة (دراسة تحليلية مقارنة)

Proving the Qualities of Hearing and Sight of God Almighty in the
Light of the Qur'an and Sunnah
(Comparative Analytical Study)

د. دلال محمد أحمد

Dr. Dalal Mohammad Ahmad

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد،

قسم الدراسات الإسلامية، كلية الشريعة والقانون، جامعة الجوف،

سكاكا، المملكة العربية السعودية

dmbayahya@ju.edu.sa

الملخص:

يعني هذا البحث بدراسة اسمين من أسماء الله تعالى الحسنى، وهما: السميع والبصير في ضوء الكتاب والسنة دراسة تحليلية مقارنة. ويهدف إلى بيان معنى السميع والبصير ومعانيها في القرآن الكريم، وعدد ورودها فيه، وكذلك إثبات صفتي السمع والبصر لله سبحانه وتعالى بالأدلة الشرعية، وبيان الآثار المترتبة على إثبات صفتي السمع والبصر لله سبحانه على العبد في الدارين.

وقد خلصت إلى عدة نتائج من أهمها: أنّ السميع والبصير اسمين لله تعالى وصفتين ثابتتين في الكتاب والسنة، نؤمن بها ونثبتها من غير تحريف ولا تمثيل ولا تكيف ولا تعطيل.

وأنّ من آثار الإيمان بهما في الدنيا: أنّ معرفة المعاني التي اشتملت عليها صفتي السمع والبصر لله تعالى تزيد إيمان العبد، وتورثه محبة الله، وكذلك تجعله يسارع للخيرات، ويتجنب المعاصي والمنكرات حين يستشعر مراقبة الله له، فهو سميع لأقواله، بصير بأفعاله، فهذا يُورث الحياء من الله، ويستوجب الأدب معه.

كذلك من الآثار في الدنيا: أنّ معرفتهما طريقاً لتحقيق التقوى، وبلوغ مرتبة الإحسان، وهما سبب للخشوع في الدعاء، وذلك باستحضار عظمة الله تعالى عند دعائه، وأنّه يسمع الداعي ويُجيبه.

ومن أعظم الآثار في الآخرة: دخول الجنة.

الكلمات المفتاحية: أسماء الله، السميع، البصير، صفات الله، صفة السمع، صفة البصر.

Abstract:

This research aims to study two of the most beautiful names of God Almighty, namely: the All-Hearing and the All-Seeing in the light of the Qur'an and the Sunnah comparative analytical study.

It aims to explain the meaning of the All-Hearing and the All-Seeing and their meanings in the Holy Qur'an, and the number of their occurrences in it, as well as proving the two attributes of hearing and sight to God Almighty with legal evidence and explaining the effects of proving the two attributes of hearing and sight to God Almighty on the servant in the two worlds.

I have reached several conclusions, the most important of which are that the All-Hearing and the All-Seeing are two names of God Almighty and two attributes established in the Qur'an and the Sunnah, which we believe in and confirm without distortion, representation, conditioning, or obstruction.

One of the effects of believing in them in this world is that knowing the meanings included in the attributes of hearing and seeing God Almighty increases the servant's faith and bequeaths to him the love of God. It also makes him hasten to good deeds and avoid sins and reprehensible things when he senses that God is watching him. He hears his words and sees his actions. This bequeaths Modesty is from God, and requires good manners with Him.

Also among the effects in this world is that knowing them is a path to achieving piety and achieving the level of benevolence, and they are a reason for humility in supplication, by recalling the greatness of God Almighty when he supplicates, and that He hears the supplicant and answers him.

One of the greatest effects of the afterlife is entering Paradise.

Keywords: The names of God, the All-Hearing, the All-Seeing, the attributes of God, the attribute of hearing, the attribute of sight.

المقدمة

الحمد لله السَّمِيع البصير، والصَّلَاة والسَّلَام على البشير النَّذِير، وآله، وصحبه، ومَنْ تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين. ثمَّ أمَّا بعد:

فإنَّ الله سبحانه وتعالى سَمَّى نفسه في كتابه المكنون، وفي سنة نبيه الصَّادق المأمون بأسماءٍ حسنى، ووصف ذاته

بصفاتٍ عُلى، فقال تعالى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا} (1)، وقال صلى الله عليه وسلم: "إنَّ لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة" (2).

وكَلَّمَا عرف العبد ربَّه بأسمائه وصفاته زادت محبته له، والقرب منه، والأنس به، وكان بين الخوف والرجاء، يطمع في رحمة الله وكرمه وعفوه ومغفرته وإحسانه، ويخشى الوقوع في الذنوب والمعاصي والمنكرات في حال عمدته، وخطئه، ونسيانه.

لذلك أردت بدراستي هذه المشاركة في هذا الفضل العظيم، وأن يكون لي سهم في هذا الخير العميم، بالحديث عن اسمين لله سبحانه وتعالى وهما: (السميع والبصير) من خلال نصوص الوحيين وذلك ببحث عنوانه: (إثبات صفتي السمع والبصر لله عزوجل في ضوء الكتاب والسنة).

ومأ شجعتني على اختيار هذا الموضوع: أهميته من حيث:

1- بيان معنى السميع والبصير، وما تضمنهما من الفوائد والفرائد.

2- مكانة هذين الاسمين في الوحيين، وذلك من خلال بيان منهج أهل السنة والجماعة فيهما.

3- تسليط الضوء على الآثار المترتبة على العبد في الدنيا والآخرة عند إيمانه بهذين الاسمين العظيمين.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في بيان الآتي:

ما معنى السميع البصير في اللغة والشرع؟ وكما وردتا في القرآن الكريم؟ وهل هناك معاني أخرى لهذين الاسمين؟ وماهي الأقوال في إثبات صفتي السمع والبصر لله سبحانه وتعالى؟ وما هو منهج أهل السنة والجماعة فيهما؟ وما هي الآثار المترتبة على إثبات صفتي السمع والبصر لله سبحانه على العبد في الدارين؟

الدراسات السابقة:

لقد ضمَّن العلماء أسماء الله تعالى الحسنى وصفاته العُلى ضمن مؤلفاتهم، والبعض أفردتها بالتأليف، ومن أبرز مَنْ كتب عنها:

1- أحمد بن الحسين البيهقي (ت 458هـ) في كتابه (الأسماء والصفات)، مكتبة السوادى، جدة، الطبعة الأولى، 1413هـ-1993م.

2- عبد الله بن قدامة المقدسي (ت 620هـ) في كتابه (لمعة الاعتقاد) وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، 1420هـ-2000م.

¹ سورة الأعراف، من الآية (80).

² أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب إن لله مائة اسم إلا واحداً، 118/9، حديث رقم (7392)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب في الذكر والدعاء، باب في أسماء الله تعالى، 2062/4، حديث رقم (2677)، وعند مسلم في رواية: "من حفظها.. الحديث".

3- أحمد بن عبد السلام بن تيمية (ت 728هـ) في عدّة كتب، من أبرزها كتابه (الفتاوى الكبرى) دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1408هـ - 1987م.

4- ابن قيم الجوزية (ت 751هـ) في عدّة كتب، من أبرزها كتابه (الصّواعق المرسلّة) تحقيق: علي الدّخيل الله، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، 1408هـ - 1987م.
ومُن كتب عنها من المتأخرين:

1- محمد بن صالح العثيمين (ت 1421هـ) في كتابه (القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى) الجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، الطبعة الثالثة، 1421هـ / 2001م.

2- سعيد بن علي القحطاني (ت 1440هـ) في كتابه (شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسُّنة) مؤسسة الجريسي، الرياض.

3- حصّة بنت عبد العزيز الصّغير في كتابها (شرح أسماء الله تعالى الحسنى) دار القاسم، الرياض، الطبعة الأولى 1420هـ.

وبالنظر للمؤلفات السّابقة لم أجد من أفرد هذين الاسمين (السميع والبصير) في بحث مستقل كما هو هدفُ هذا البحث.

وقد اقتضى العملُ في هذا البحث تقسيمَ الحُطّة إلى: مقدمة، وثلاثة مطالب، وخاتمة، وفهارس.

أمّا المقدمة: فحوت نُبذةً عن أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، ومشكلة البحث، وحُطّته، ومنهجية فيه.

المطلب الأول: معنى السَّمع والبصير ومعانيها في القرآن الكريم، وعدد ورودهما فيه.

المطلب الثّاني: إثبات صفتي السَّمع والبصر لله سبحانه وتعالى في ضوء الكتاب والسُّنة.

المطلب الثّالث: الآثار المترتبة على إثبات صفتي السَّمع والبصر لله سبحانه على العبد في الدّارين.

الخاتمة: وذكرت فيها أهمّ النتائج التي توصلتُ إليها من خلال البحث.

الفهارس العلمية، وتشمل:

- فهرس المصادر والمراجع.

- فهرس الموضوعات.

أمّا منهجتي في البحث:

فقد أتبعْتُ في هذه الدّراسة المنهجَ التحليليَّ المقارن، وسرّث فيه على النّحو الآتي:

1- عزوتُ الآياتِ القرآنيّة إلى مواضعها من القرآن الكريم؛ ببيان رقم الآية واسم السُّورة.

2- حرّجتُ الأحاديث النَّبوية في ثنايا البحث من الكتب المعتمدة، مع ضبطها بالشّكل، فإن كان النّص في الصّحيحين أو أحدهما اكتفيت بذلك لصحّتهما، وإلا فإني أحرّجه من مظانّه المعتمدة.

3- ترجمتُ للأعلام غير المعروفين فقط؛ خشية الإطالة.

وأخيراً: أسأل الله العظيم أن يجعل عملي خالصاً، وينفع به في الدّارين.

المطلب الأول: معنى السَّمِيعِ البصير

السَّمِيعِ.

في اللغة:

يُطلق السَّمِيعُ على حِسِّ الأذن، قال تعالى: {أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ}³
فهو يُطلق على سَمْعِ الإنسان وغيره، والسَّمْعُ أيضاً: الأُذُن، وسَمِعْتُ بمعنى أجبْتُ، ومنه: سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، أي: قبل حمده وأجابته، ومنه: جوف الليل الآخر أسمع أي: أوفق لاستماع الدعاء، وأقرب للإجابة. يقال: تسمعت

إليه أي: أصغيت (1)

2- ما يتعلّق بالمعاني،

ويُطلق فعل السَّمْعِ على معان:

1- ما يتعلّق بالأصوات، وهو سَمِعَ إدراك.

وهو سَمِعَ فهم وعقل.

3- سَمِعَ إجابة وإعطاء ما سأل.

4- سَمِعَ قبول وانقياد⁽²⁾.

في الشَّرْع:

السَّمِيعُ: هو من أسماء الله تعالى وصفاته الثَّابِتة في الكتاب والسُنَّة، بصيغة المبالغة على وزن فَعِيل، فهو سَمِيعٌ بلا حدٍّ ولا تقدير، سَمِيعٌ بلا سَمْع، سمعه سبحانه محيط بجميع الأصوات في العالم علويه وسُفليّه، يستوي عنده السَّرّ والعلن، القريب منها والبعيد، يسمع جميع الأصوات على كثرتها، واجتماعها، واختلاف لغاتها، وحاجاتها، لا تختلط عليه سبحانه فهي عنده كصوت واحد قال تعالى: {سِوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ} (3).

تُسَلِّمُ بذلك وتؤمن به من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تمثيل، ولا تكيف⁽⁴⁾

ولسمع الله تعالى في القرن الكريم معاني:

الأول: السَّمْعُ العام، وهو أنّ الله تعالى يسمع الأصوات جميعها، الباطنة والظاهرة، الجليّة والخفيّة، وإحاطته

التامة بها، كما في قوله: {وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} (5).

(3) سورة ق، من الآية (37).

(2) انظر: تهذيب اللغة للأزهري 74/2، لسان العرب لابن منظور 162/8

(3) انظر: بدائع الفوائد لابن القيم 75/2، شرح العقيدة الواسطية للحازمي 4/17.

(4) سورة الرعد، الآية (10).

(5) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية 195/5، مدارج السالكين لابن قيم الجوزية 144/1، اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم 212/2

(1) سورة يونس، الآية (65).



الثاني: السمع الخاص، وهو سمعه بالإجابة والقبول للداعين والسائلين، كما في قوله: {إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ} (1).

الثالث: أن يكون المراد به التأييد والتصر، كما في قوله: {إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى} (2).
الرابع: أن يكون المراد به التهديد والوعيد، كما في قوله: {أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ} (3)(4).

— وروده في القرآن الكريم:

ورد لفظ السميع في القرآن في خمسة وأربعين موضعاً، بآل التعريف وبدونها، وقد جاء على مواضع:
1- دون أن يقترن بشيء، ولكن أضيف إلى الدعاء في موضعين، منها قوله: {قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ} (5).

1- بالعلم في إحدى وثلاثين موضعاً، ومنها قوله: {وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} (6).
2- بالبصير في أحد عشر موضعاً، ومنها قوله: {فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} (7). 3- بالقرب في موضع واحد، وهو قوله: {قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ} (8)(9).
البصير.

قي اللغة:

يُطلق البصر على حاسة الرؤية، وقيل: العين إلا أنه مذكّر، وقيل: البصر نفاذ في القلب، وأبصرت الشيء: رأيته.

والبصر: العلم، والبصير: ضد الضير، ويُطلق على العالم، وإنه لبصير بالأشياء أي: عالم بها، والتبصير: التعريف والإيضاح (10).

في الشرع:

- (2) سورة إبراهيم، من الآية (39).
- (3) سورة طه، من الآية (46).
- (4) سورة الزخرف، الآية (80).
- (5) انظر: مجموع الفتاوى 1/127، بدائع الفوائد لابن قيم الجوزية 2/238، 267، 4/3، شرح العقيدة الواسطية 1/17.
- (6) سورة آل عمران، من الآية (35).
- (7) سورة الأنعام، الآية (13).
- (8) سورة غافر، من الآية (56).
- (9) سورة سبأ، الآية (50).
- (10) انظر: المعجم المفهرس لمحمد عبد الباقي ص 360، شرح أسماء الله تعالى الحسنى لصحة الصغير ص 146.
- (1) انظر: تهذيب اللغة 12/123، لسان العرب 4/64.

البصير: من أسماء الله تعالى وصفاته الثابتة في الكتاب والسنة، فهو بصيرٌ بلا حدٍّ ولا تقدير، بصيرٌ بلا بصر، أحاط بصره جميع المبصرات، يرى ديبب التملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، نُسِّمَ بذلك ونؤمن به من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تمثيل، ولا تكيف(1).

وللفظ البصير في القرآن الكريم معاني:

الأول: أنه يرى جميع المبصرات، لا تخفى عليه خافية، فيرى أكبر الأشياء وأصغرها وأدقها على سواء، كما قي قوله: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}(2).

الثاني: أن البصير بمعنى العليم، وذلك علمه بأفعال عباده، وإحاطته بها، كما قي قوله: {وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ}(3).

الثالث: أن يكون المراد به التأييد والتصر، كما قي قوله: {إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى}(4)(5).

وروده في القرآن الكريم:

ورد لفظ البصير في القرآن بأل التعريف وبدونها في اثنتين وأربعين موضعاً، وقد جاء على مواضع:
1- دون أن يقترن بشيء في سبع وعشرين موضعاً، ومنها قوله: {مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ}(6).

2- مقترناً بالسَّمِيع في عشرة مواضع، منها ستة مواضع بدون أل، ومنها قوله: {وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا}(7)، وأربعة مواضع بأل، ومنها قوله: {إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}(8).

3- مقترناً بالخبير في خمسة مواضع، ومنها قوله: {وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا}(9)(10).

المطلب الثاني: إثبات صفتي السَّمْع والبصر لله سبحانه وتعالى في ضوء الكتاب والسنة

(2) انظر: مجموع الفتاوى 195/5، مدارج السالكين 144/1، اجتماع الجيوش الإسلامية 212/2.

(3) سورة الشورى، من الآية (11).

(4) سورة البقرة، من الآية (233).

(5) سورة طه، من الآية (46).

(6) انظر: مجموع الفتاوى 399/2، طريق المهجرتين لابن قيم الجوزية 127/1، شرح العقيدة الواسطية 7/17.

(7) سورة الملك، الآية (19).

(8) سورة النساء، من الآية (134).

(9) سورة غافر، من الآية (20).

(10) سورة الإسراء، الآية (17).

(11) انظر: المعجم المفهرس ص 121، شرح أسماء الله تعالى الحسن ص 77.



ذهب أهل السنة والجماعة⁽¹⁾ إلى إثبات صفتي السمع والبصر لله ، وقالوا: إن الله سميعٌ ذو سمع، بصيرٌ ذو بصر، الطائفة الأولى: كان كذلك، ولا يزال بلا تمثيل، ولا تكيف، ولا تحريف، ولا تعطيل، وخالفهم في ذلك طوائف: قالوا: إن الباري تعالى إذا سُمي سمياً بصيراً، فالمعنى بالاسمين كونه عالماً بالمعلومات على حقائقها.

به قال أبو القاسم الكعبي⁽²⁾ (3)، وبعض معتزلة بغداد⁽⁴⁾ ، وطائفة من التجاربية⁽⁵⁾ (6)، وهو قول الجهمية⁽⁷⁾، والخوارج⁽⁸⁾ .

الطائفة الثانية: قالوا: إن الباري تعالى سميع بصير على الحقيقة، كما أنه عالم على الحقيقة، وزعموا أنه سميع بصير لذاته.

به قال بعض معتزلة البصرة⁽⁹⁾

الطائفة الثالثة: قالوا: إن المعنى بكون الله سمياً بصيراً، أنه حي لا آفة به.

به قال أبو علي الجبائي⁽¹⁰⁾، وابنه عبد السلام الجبائي⁽¹¹⁾ (12).

الترجيح:

-
- (2) انظر: الإبانة عن أصول الديانة للأشعري ص45، الرد على الجهمية لابن حنبل ص255، التوحيد لابن خزيمة 110/1، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والاكائي 451/3، الأسماء والصفات 288/1، الإرشاد للجويني ص72، نهاية الأقدام للشهرستاني ص341، مجموع الفتاوى 8/3، 10/4، مختصر الصواعق المرسله ص158 القواعد المثلى ص84.
- (3) أبو القاسم، عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي، المعروف بالكعبي، العلامة، شيخ المعتزلة، من نظراء أبو علي الجبائي، له عدّة مصنفات، مات سنة تسع وعشرين وثلاثمائة. انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي 313/14.
- (4) انظر: الإرشاد ص72، نهاية الأقدام ص341.
- (5) انظر: المرجعين السابقين، وانظر: الإبانة عن أصول الديانة ص45، 114.
- (6) التجاربية: هم أتباع الحسين بن محمد النجار، وقد وافقوا القدرية في أصول، وانفردوا بأصول لهم، وافتروا فرقاً كثيرة، كل فرقة تكفر سائرهما، والمشهورون منها ثلاث فرق، وهي: البرغوثية، والرغفانية، والمستدركة من الرغفانية.
- انظر: الفرق بين الفرق للبغداد ص191.
- (7) انظر: الإرشاد ص72، نهاية الأقدام ص341.
- (8) انظر: الإبانة عن أصول الديانة ص45، 113، الرد على الجهمية ص310، التوحيد 117/1، 114.
- (9) انظر: الإبانة عن أصول الديانة ص45.
- (10) انظر: الإرشاد ص72، نهاية الأقدام ص341.
- (11) محمد بن عبد الوهاب بن سلام بن يزيد بن أبي السّكن، أبو علي الجبائي، البصري، شيخ المعتزلة، كان رأساً في الفلسفة والكلام، له مؤلفات ومقالات مشهورة، مات سنة ثلاث وثلاثمائة، عن ثمان وستين سنة.
- انظر: طبقات المفسرين للسيوطي ص88.
- (12) أبو هاشم، عبد السلام بن محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي المعتزلي، تلمذ لوالده، وكان حسن الفهم، ذكي الفؤاد، خبيراً بعلم الكلام، قوي المعارضة والمجادلة، مات ببغداد سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة.
- انظر: سير أعلام النبلاء 63/15.
- (1) انظر: الإرشاد ص72، نهاية الأقدام ص341.

الراجح في هذه المسألة هو ما ذهب إليه أهل السنة والجماعة، بأن الله تعالى سميعٌ بصير، كان كذلك، ولم يزل، بلا تكييف، ولا تمثيل، ولا تحريف، ولا تعطيل. برهان ذلك:

1-وردت عدة آيات تُثبت هاتين الصفتين لله، إما مقترنتين أو متفردتين، ومن ذلك:

أ- قوله تعالى: {وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا} (1)، وقال تعالى: {إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى} (2)، وقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} (3)، وقوله: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} (4)، وقال تعالى: {وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} (5)، وقال تعالى: {إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا} (6).

ب- قال إبراهيم الخليل لأبيه: {يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا} (7)، يعني أن إلهه بخلاف الصم، يسمع بسمع، ويُبصر ببصر، ولو كان خلاف ذلك لردّ عليه أبوه بقوله: وإلهك أيضاً لا يسمع ولا يُبصر (8).

وكذلك ورد عنه وابنه إسماعيل عليهما السلام قوله تعالى: {رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} (9)

ج- قال الله تعالى في أصنام العرب: {أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا} (10)، وهذا يعني أن الله بخلافهم، له أعينٌ يُبصر، وسمْعٌ يسمع به (11).

2-وردت عدة أحاديث تثبت هاتين الصفتين لله ﷻ، ومن ذلك:

أ- قال ﷻ: "يا أيها الناس، اربعوا (12) على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصمّ ولا غائباً، إنما تدعون سميعاً

(2) سورة النساء، من الآية (134).

(3) سورة طه، من الآية (46).

(4) سورة غافر، من الآية (20).

(5) سورة الشورى، من الآية (11).

(6) سورة البقرة، من الآية (224)، ومن الآية (256)، سورة آل عمران، من الآية (34)، سورة التوبة، من الآية (98)، ومن الآية (103)، سورة النور،

من الآية (21)، ومن الآية (60)

(7) سورة الإسراء، من الآية (96).

(8) سورة مريم، من الآية (42).

(9) انظر: الردّ على الجهمية ص402.

(10) سورة البقرة، من الآية (127).

(11) سورة الأعراف، من الآية (195).

(12) انظر: الردّ على الجهمية ص402.

(13) اربعوا - بفتح الموحدة - : أي: ارفقوا، واقتصروا.

انظر: لسان العرب 110/8.

بصيراً.. (1).

ب- قال ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيْسَ بِأَعْوَرٍ..." (2).

ومعلوم أَنَّ الْأَعْوَرَ عِنْدَ النَّاسِ مَنْ يَرَى بِعَيْنٍ وَاحِدَةٍ، وَفِي ذَلِكَ إِثْبَاتُ الْبَصَرِ لِلَّهِ تَعَالَى.

ج- وقال ﷺ: "لَا أَحَدٌ أَصْبَرَ عَلَى أَدَى يَسْمَعُهُ مِنَ اللَّهِ ﷻ، إِنَّهُ يُشْرِكُ بِهِ، وَيُجْعَلُ لَهُ الْوَلَدُ، ثُمَّ هُوَ يُعَافِيهِمْ، وَيُرْزُقُهُمْ" (3).

في هذا الحديث إثبات السمع لله ﷻ.

د- وقال ﷺ: "إِنَّ جَبْرِيلَ الْكَلْبَ نَادَانِي، قَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ وَمَا رَدَّوْا عَلَيْكَ" (4).

3- عن عائشة رضي الله عنها قالت: (الحمد لله الذي وَسَّعَ سَمْعَهُ الْأَصْوَاتِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ: {قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا} (5) (6)).

4- قال الإمام ابن تيمية: "وجماع القول في إثبات الصفات هو القول بما كان عليه سلف الأمة وأئمتها، وهو أن يوصف الله تعالى بما وَصَفَ بِهِ نَفْسَهُ، وبما وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ، وَيُصَانُ ذَلِكَ عَنِ التَّحْرِيفِ وَالتَّمْثِيلِ وَالتَّكْيِيفِ، وَالتَّعْطِيلِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، لَا فِي ذَاتِهِ، وَلَا فِي صِفَاتِهِ، وَلَا فِي أَعْمَالِهِ" (7).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والبيتر، باب ما يُكره من رفع الصوت في التكبير 157/6، حديث رقم (2992)، وفي كتاب الدعوات، باب الدعاء إذا علا عتبة 191/11، حديث رقم (6384)، وفي باب قول: لا حول ولا قوة إلا بالله 217/11، حديث رقم (6409)، وفي كتاب القدر، باب لا حول ولا قوة إلا بالله 509/11، حديث رقم (6610)، وفي كتاب التوحيد، باب {وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً بَصِيراً} 460/13، حديث رقم (7386).

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله: {وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّخَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا} 550/6، حديث رقم (3439)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن، باب ذكر الدجال وصفته وما معه 7180/11، حديث رقم (2932).

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ} 372/13، حديث رقم (7378)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صفة القيامة، باب لا أحد أصبر على أذى من الله ﷻ 6987/11، حديث رقم (2804).

(5) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: (أمين) 360/6، حديث رقم (3231)، وفي كتاب التوحيد، باب: {وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً بَصِيراً} 461/13، حديث رقم (7389).

(6) سورة المجادلة، من الآية (1).

(7) أخرجه البخاري في صحيحه مُعَلِّقاً، كتاب التوحيد، باب: {وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً بَصِيراً} 460/13، ووصله ابن ماجة في سننه، كتاب السنة، باب فيما أنكرت الجهمية 122/1، حديث رقم (188)، من طريق علي بن محمد عن أبي معاوية عن الأعمش عن تميم بن سلمة عن عروة بن الزبير عن عائشة به، والنسائي في سننه، كتاب الطلاق، باب الظهار 122/6، حديث رقم (3460)، من طريق إسحاق ابن إبراهيم عن جرير عن الأعمش به.

(8) انظر: مجموع الفتاوى 309/6.

5- يُستدلّ على ذلك من المعقول بأنّه لا يُقال لشيء أنه سميع بصير إلا لمن هو من ذوي الأسماع والأبصار، وقد يُقال في مجاز الكلام: الجبال تترأى وتسمع، على معنى أنّها تُقابل بعضها بعضاً، وتبلغها الأصوات ولا تفقه، ولا يُقال: جبل سميع بصير؛ لأنّ ذلك مستحيل، إلا لمن يسمع بسمع، ويُبصر ببصر⁽¹⁾. والله أعلم.

المطلب الثالث: الآثار المترتبة على إثبات صفتي السمع والبصر لله سبحانه على العبد في الدارين

لا شك أنّ لمعرفة أسماء الله تعالى الحسنی وصفاته العُلى أثر عظيم في حياة العبد، وأنّ استشعاره لها عامة، ولصفتي السمع والبصر خاصة آثاره في الدارين.

ومن أبرز تلك الآثار في إثبات صفتي السمع والبصر لله سبحانه وتعالى:

أ- في الدنيا:

1- زيادة الإيمان، وذلك حين يؤمن العبد بأنّ له إله سميع بصير، ويُقرّ بذلك، ويصف بهما خالقه من غير تمثيل، ولا تكييف، ولا تعطيل، ولا تحريف.

2- أنّ معرفة المعاني التي اشتملت عليها صفتي السمع والبصر لله تعالى تُورث محبة الله، والأنس بقربه؛ وذلك حين يستشعر العبد أنّ له رباً يراه حين يتقرب إليه بالطاعات، وأنّه سبحانه سميع لدعائه ومناجاته، يسمعه عندما يذكره، ويشكره فيجازيه بإجابة الدعاء، وزيادة النعم ممّا يجعل العبد ينقاد للطاعة محبةً لخالقه، وتعظيماً وإجلالاً.

3- المسارعة للخيرات، وتجنب المعاصي والمنكرات وذلك باستشعار مراقبة الله سبحانه وتعالى للعبد وأنّه لأقواله وأفعاله سميع بصير، قال تعالى: {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} (2)، وقال تعالى: {وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} (3).

4- أنّ معرفتهما من أسباب الخشوع في الدعاء، وذلك باستحضار عظمة الله تعالى عند دعائه، وأنّه يسمع الداعي ويُجيبه إن أراد بعلمه وحكمته، فقد ورد عن زكريا عليه السلام قوله تعالى: {قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ} (4)، وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: {إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ} (5) فهو سميع لكلّ مسموع، لكن جاء مقيداً في الآيتين بأنّه سماع خاص للدّاعين.

6- أنّ الإيمان بثبوت هاتين الصّفتين لله تعالى يُورث الحياء من الله تعالى، ويستوجب الأدب معه، وذلك أنّ العبد يستحي من الله أن يراه على معصية، أو منكر، أو أن يتفوّه بما يسخط خالقه ويُغضبه أدباً منه وحياءً.

(2) الرّد على الجهمية ص408.

(3) سورة البقرة، من الآية (233).

(4) سورة الحجرات، من الآية (1).

(5) سورة آل عمران، من الآية (35).

(1) سورة إبراهيم، من الآية (39).



7- أنَّ معرفتهما دليل للتقوى، وذلك أنَّ من عظيم بصر الله تعالى علمه بخيانات العيون، وبما تضرمه القلوب {يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ} (1) مما يجعل العبد يستشعر ذلك في سرِّه، وخلواته.

8- حين يعرف العبد معاني ومدلولات أسماء الله الحسنى وصفاته العلى يختار منها ما يناسب المقام عند دعائه، فقد ورد عن إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام قوله تعالى: {رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} (2). وورد عن امرأة عمران قوله تعالى: {إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} (3).

9- قد يبلغ العبد بإيمانه بماتين الصفتين، والعمل بما تقتضيهما مرتبة الإحسان. ب- في الآخرة: 1- دخول الجنة، لدخول هذين الاسمين في عموم قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إنَّ لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة" (4).

2- حصول الأجور المضاعفة للعبد يوم القيامة، وذلك حين يستشعر في دنياه أنَّ الله بصيرٌ بأفعاله، ومن أمثلة ذلك: قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي - في الصوم -: "... يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي، الصيام لي، وأنا أجزي به، والحسنة بعشر أمثالها" (5) فحين يترك العبد ملذاته وشهوته وهو صائم لا يرجو بذلك إلا الله الذي هو بصيرٌ به، ورقبيه وحسيبه فيجازيه سبحانه يوم القيامة بالضعف.

الخاتمة:

الحمدُ لله ربَّ العالمين على منَّته وتوفيقه وفضله المبين بإتمام هذا البحث، والذي تحدَّثتُ فيه عن (إثبات صفتي السَّمْع والبصر لله عزَّ وجلَّ في ضوء الكتاب والسُّنة).

وقد خلصت إلى عدة نتائج من أهمها:

1- أنَّ السَّمْع من أسماء الله وصفاته الثابتة في الكتاب والسُّنة، فهو سبحانه سميعٌ بلا سمع، ومحيط بجميع الأصوات في العالم علويه وسُفليّه، يستوي عنده السرُّ والعلن، القريب منها والبعيد، لا تختلط عليه سبحانه وإن كثرت فهي عنده كصوت واحد، نُسلِّم بذلك ونؤمن به من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تمثيل، ولا تكييف.

(2) سورة غافر، من الآية (19).

(3) سورة البقرة، من الآية (127).

(4) سورة آل عمران، من الآية (38).

(5) الحديث سبق تخريجه ص 4.

(8) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصيام باب فضل الصوم 24/3، حديث رقم (1894)، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الصيام، باب حفظ اللسان للصائم 3160/1، حديث رقم (1151).

2- أنّ البصير من أسماء الله وصفاته الثابتة في الكتاب والسنة، فهو بصيرٌ بلا بصر، أحاط بصره جميع المبصرات، يرى ديب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، نُسِمَ بذلك ونؤمن به من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تمثيل، ولا تكييف.

3- أنّ السميع والبصير وردتا في القرآن بأل التعريف وبدونها، وتارة تأتي منفردة، وأخرى مقترنة باسم آخر لله تعالى، أو مقترنة بعبادة ونحو ذلك.

4- أنّ مذهب أهل السنة والجماعة أنّ الله تعالى سميع بصير، كان كذلك، ولم يزل، بلا تمثيل، ولا تكييف، ولا تحريف، ولا تعطيل، وخالفهم قبي ذلك طوائف من المعتزلة، والخواارج، والجهمية، والتجارية.

5- أنّ من آثار الإيمان بهما على العبد في الدنيا:

- أنّها تزيد إيمان العبد، وتورثه محبة الله، وكذلك تجعله يُسارع للخيرات، ويتجنب المعاصي والمنكرات حين يستشعر مراقبة الله له، فهو سميعٌ لأقواله، بصيرٌ بأفعاله، فهذا يُورث الحياء من الله، ويستوجب الأدب معه.
 - أنّ معرفتهما طريقٌ لتحقيق التقوى، وبلوغ مرتبة الإحسان، وهما سببٌ للخشوع في الدعاء، وذلك باستحضار عظمة الله تعالى عند دعائه، وأنّه يسمع الداعي ويُجيبه.
 - أنّ من آثار الإيمان بهما على العبد في الآخرة، مضاعفة الحسنات، ودخول الجنة.
- المقترحات، وهي:

- أوصي الباحثين والمختصين، وطلبة العلم أن يعتنوا بموضوع أسماء الله تعالى الحسنى وصفاته، وذلك من خلال:

- إبراز الفوائد والفرائد المتنوعة التي ضمّنها العلماء كتبهم في الحديث عن أسماء الله الحسنى وصفاته، فيُفردونها ببحوث؛ للاستفادة منها، فكم من فقيه، وكم من مفسّر ضمّنا كتبهم ذلك، وكم من محدّث كان هذا صنيعه، فعلى سبيل المثل يُكتب بحث بعنوان: (أسماء الله الحسنى عند الحافظ ابن كثير في تفسيره)، وكذلك (أسماء الله الحسنى عند ابن منظور في لسان العرب).

- إقامة محاضرات عامة، ودورات عن أسماء الله تعالى وصفاته الثابتة في الوحيين سواء في المساجد، أو المعاهد بأسلوب تقريبي للعامة؛ حتى يتقربوا إلى الله ويعبدوه على بصيرة، ويستشعرون ذلك في أمور دينهم، وديانهم. وأخيراً، أسأل الله أن يتقبل منّا، وأن ينفعنا بهذا العمل في الدارين.

فهرس المصادر والمراجع:

- 1- القرآن الكريم.
- 2- (الإبانة عن أصول الديانة) للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت 324هـ)، حققه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه: بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد، الرياض، الطبعة الرابعة 1413هـ - 1993م.
- 3- (الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد) لإمام الحرمين أبي المعالي عبد الملك الجويني (ت 478هـ)، حققه وعلّق عليه: د. محمد يوسف موسى وعلي عبد الحميد، مكتبة الخانجي، مصر، 1369هـ - 1950م.



- 4- (الأسماء والصفات) لأحمد بن الحسين بن علي الخرساني، أبو بكر البيهقي (ت 458هـ)، تحقيق: عبدالله الحاشدي، مكتبة السوادني، جدة، الطبعة الأولى، 1413هـ-1993م.
- 5- (اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية) للإمام محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية (ت 751هـ)، تحقيق: عواد المعتق، مطابع الفرزدق التجارية، الرياض، الطبعة الأولى، 1408هـ-1988م. (بدائع الفوائد) للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت 751هـ)، تحقيق: محمد بن إبراهيم الزغلي، دار المعالي، الأردن، الطبعة الأولى 1420هـ-1999م.
- 6- (تهذيب اللغة) لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت 370هـ)، تحقيق: محمد النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- 7- (التوحيد وإثبات صفات الربِّ ﷻ) للإمام أبي بكر محمد بن إسحاق بن حُزَمة (ت 311هـ)، دراسة وتحقيق: د عبد العزيز الشهوان، دار الرشد، الرياض، الطبعة الثانية 1411هـ-1991م.
- 8- (الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه) لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت 256هـ)، تحقيق جماعة من العلماء، دار الريان للتراث، القاهرة، الطبعة الأولى 1407هـ-1986م.
- 9- (الردّ على الجهمية والزندقة) للإمام أحمد بن حنبل (ت 241هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، دار اللواء، الرياض، 1397هـ-1977م.
- 10- (سنن ابن ماجة) لأبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني (ت 273هـ)، تحقيق: الشيخ خليل مأمون شبحا، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى 1416هـ-1996م.
- 11- (سنن النسائي) للإمام أبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي النسائي (ت 303هـ)، تحقيق: الشيخ عبد الوارث محمد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1416هـ-1995م.
- 12- (سير أعلام النبلاء) للإمام محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت 748هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد العرفسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الحادية عشرة 1417هـ-1996م.
- 13- (شرح أسماء الله تعالى الحسنى وصفاته الواردة في الكتب الستة)، إعداد: حصة عبد العزيز الصغير، دار القاسم، الرياض، الطبعة الأولى 1420هـ.
- 14- (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة) للإمام أبي القاسم هبة الله بن الحسن ابن منصور الطبري اللالكائي (ت 418هـ)، تحقيق: د أحمد الغامدي، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثالثة 1415هـ-1994م.
- 15- (شرح العقيدة الواسطية) لأبي عبد الله أحمد بن عمر الحازمي، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشيخ الحازمي، وهو على موقع موسوعة الكتب الشاملة.
- 16- (صحيح مسلم) للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت 261هـ)، مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة، الطبعة الأولى 1417هـ-1996م.

- 17- (الصّواعق المرسلّة) لمحمد بن أبي بكر أيوب المعروف بابن قيم الجوزية (ت 751هـ)، تحقيق: علي الدّخيل الله، دار العاصمة، الرياض، الطبعة الأولى، 1408هـ -1987م.
- 18- (طبقات المفسّرين) للإمام عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت 911هـ)، حقّقه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى 1403هـ -1983م.
- 19- (طريق المهجرتين وباب السعادتين) للإمام أبي عبد الله محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت 751هـ)، تحقيق: عبد الكريم الفضيلي، المكتبة العصرية، بيروت، الطبعة الأولى 1420هـ -2000م.
- 20- (الفرق بين الفرق وبين الفرقة الناجية منهم) للإمام عبد القاهر بن طاهر بن محمد البغدادي (ت 429هـ)، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، دار الجيل ودار الآفاق الجديدة، بيروت، 1408هـ -1987م.
- 21- (لسان العرب) للعلامة أبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور الأفرقي المصري (ت 711هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة 1414هـ -1994م.
- 22- للإمام (لمعة الاعتقاد) عبد الله بن قدامة المقدسي (ت 620هـ) وزارة الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، 1420هـ -2000م.
- 23- (مجموعة الفتاوى) للإمام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية (ت 728هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1408هـ -1987م.
- 24- (مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين) لمحمد بن أبي بكر أيوب المعروف بابن قيم الجوزية (ت 751هـ)، تحقيق: محمد البغدادي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1416هـ -1996م.
- 25- (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم) لمحمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، 1439هـ -2018م.
- 26- (مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة) لمحمد بن أبي بكر أيوب المعروف بابن قيم الجوزية (ت 751هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت.
- 27- (نهاية الأقدام في علم الكلام) للإمام محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر الشهرستاني (ت 548هـ)، حرّره وصحّحه: الفردجيوم، مكتبة الثقافة الدينية، مصر.

* المواقع الإلكترونية:

-موسوعة الكتب الشاملة.

-الدّرر السنّيّة.